إستراتيجية ترجمة الصورة في أدب الأطفال

د/ باية خوجة لكّال
قسم الترجمة
جامعة الجزائر -02- بوزريعة

تعتبر الكتب المصورة من الأدب المرئي الذي يكتب عادة للأطفال الصغار بين 3 إلى 10 سنوات، وهي نوعان، صور وإلى جانبها كلمة أو عبارة، أو قصة عادية ترافقها صور تمثل جميع حوادثها. وهناك القصص المصورة المدعمة بكلمات تكون واضحة ومألوفة تساعد الطفل على فهم طبيعة القصة وأهدافها من خلال النظر إلى تلك الصور، وتعتمد هذه القصص المصورة اعتمادا كليا على الصور والرسومات التي تصنع جوا من الواقعية وتنمي في الطفل دقة الملاحظة من خلال التفكير وإطالة النظر فيها، كما أن الصورة في هذا النوع من القصص توفر للطفل شرحا وافيا للموقف التعليمي أو العلمي الذي يحتاج إليه.

وتنبع إشكالية ترجمة الصورة في أدب الأطفال من الخصوصية التي يتمتع بها هذا النوع من الأدب، الذي يحمل في طياته قوة تعبير الصورة التي تفوق أحيانا قوة الكلمات، خاصة بالنسبة للطفل الذي لا يستطيع أن يقرأ بعد، ولهذا يجد المترجم نفسه أمام رسالة مزدوجة متكونة من عناصر لغوية تظهر في النص وعناصر غير لغوية تمثلها الصورة. وقد تتعامل ترجمة الصورة في أدب الأطفال مع عدة عناصر تجمع بين اللفظي والمرئي والقراءة الجهرية loud voice، وبهذه العملية تصبح الترجمة عبارة عن إعادة كتابة النص الأصلي لجمهور اللغة الهدف Target language الذي يمثله الأطفال، كما تهدف أيضا إلى إعادة القراءة، فعند ترجمة أي كتاب موجه للأطفال، فإن ذلك يتطلب لغة جديدة وثقافة جديدة ومتلقيا جديدا في اللغة الهدف، تتبلور الكلمات والألفاظ أثناء الحوار الذي يؤدي إلى إثارة القيم الغنية الأخرى، فيبرز أصواتًا متعددة في العمل الأدبي الذي تتوزع وظائفه ما بين الكاتب والمتلقي والناشر وتستمر في تفاعلها بالإضافة إلى تأثر المترجم بذاتيته الشخصية وأيديولوجيته التي تشكل لديه صورا خاصة عن الطفل ووضعيته في المجتمع، فهو بذلك يتبنى إستراتيجية معينة في الترجمة تأخذ بعين الاعتبار وظيفة النص المترجم الذي سوف لا يهدف من ورائه القراءة الصامتة والنظر في الصور، وإنما القراءة بصوت عال أيضا. علما بأن ترجمة أدب الأطفال تشمل نوعين من

القراء، أي متلقيين، المتلقي الطفل والمتلقي الراشد الذي يكتب ويترجم ويشتري ويبيع ويختار الكتب للأطفال.

يحتاج النص المصور إلى اهتمام خاص ودراسة متمعنة ولغة مختارة، فلو حدث مثلا أن قصر المترجم في اهتمامه بالصورة أثناء نقله للنص، فإنه بهذا الموقف قد حدّد وقلّل من حركية وذكاء الطفل كمتلق صغير يتفاعل مع النص الأصلي أثناء ترجمته، ويمكن اعتبار لغة الصور بأنها لغة عالمية قادرة على تجاوز الحدود اللغوية والثقافية مما يعطي أهمية قصوى لمرحلة اختيار النصوص التي تترجم للأطفال، وذلك بمراعاة اهتمامهم وميولهم. لكن مهمة المترجم تصبح معقدة وشائكة عندما تتضارب الصورة مع النص أو الكلمات وتسردان حكايات مختلفة، أو عندما تتغلب كثافة النص المكتوب عما تقدمه الصورة.

لأن قراءة المترجم للنص الأصلي في لغة المصدر source language مرتبطة بمدى تأثرها بالصورة، ولهذا فليس من السهل عليه أن يفك العناصر التي تشكل ذلك التعقيد، ومن هنا تأتي الفاعلية التي تجعل من الصورة أداة وقوة في الإبداع اللغوي بالنسبة للمترجم الذي ينبغي أن يستنطقها أثناء ترجمته. وبعبارة أخرى إن الفراغ الموجود في النص الأصلي ينبغي ملؤه من طرف المترجم في النص الهدف، بواسطة نقل ما يوجد في الصورة بأساليب تعبيرية وخطابية تعتمد على أدق التفاصيل الموجودة في تلك الصورة، بينما يعطي انفتاح الصورة والنص إمكانية كبيرة للمترجم للدخول في تأويلات متعددة لإعادة سرد النص.

ويمكن وصف النص المترجم الذي يتبنى إستراتيجية التكييف Adaptation بالترجمة التقريبية Domestication كما يطلق عليها الباحث الأمريكي لورانس فينوتي Venuti. L وهي الترجمة التي تنسجم مع الثقافة والقيم اللغوية المستهدفة والتي تتكيف مع القارئ الطفل في ثقافته وقيم مجتمعه.

ولكن يستطيع المترجم أن يلجأ إلى عملية التغريب Foreignization في عمله وذلك بالمحافظة على آثار النص الأصلي مبرزا ومجسدا الفوارق الثقافية ذات المصادر الأجنبية، والاعتماد على الخصوصية الثقافية للنص الأصلي بواسطة توظيف ترجمة حرفية تقاسم دور التداخل بين الصورة والنص، إلى جانب تغيير واستبدال العناصر المجهولة بالمعروفة التي يفترض عدم معرفتها لدى المتلقي، وفي هذه الحالة يكون المترجم قد حقق نصا مترجما في لغة الهدف يحمل كل فرص الفهم لدى المتلقي.

ومن المواضيع التي تساهم الصورة في تجسيد معانيها نذكر كتب اللعب والصور المتحركة والقصص المجسدة في الصور، والأشرطة المرسومة والتي تجمع كلها بين الأحداث

والخيال، بين الممكن وغير الممكن، وأحيانا هناك نصوص وصور تحطم القواعد التقليدية للكتابة، بحيث يلجأ كتّابها إلى توظيف التهكم والسخرية والتهجين بهدف جذب القارئ الصغير. فالكلمات هنا والصور تحمل عدة وظائف تساند بعضها البعض للتعبير عن معنى واحد بواسطة التوافق الذي يمثله النشاط الواضح في الصورة والكلمة، وفي المقابل نجد الصورة المجسدة في القصة تعطينا أحيانا معلومات إضافية والتي لا يمكن التعبير عنها بالكلمات، كالتفاصيل عن المكان والزمان والشخصيات والعلاقات القائمة بينها، كما تصبح الصورة في بعض الأحيان عبارة عن أسلوب يرمز إلى العالم الواقعي، والعالم اللاواقعي في سرد الأحداث.

والظاهر أن ترجمة الصورة المرئية من دعائم الوسائل السمعية البصرية في عصرنا، ومن وسائل تقنيات الكتابة لأن استنطاقها بكل محتوياتها وأشكالها وأساليبها أصبح ضروريا في حياة الصغار وحتى الكبار، كترجمة إشارات المرور، وقوائم الطعام في المطاعم وغيرها... إنها عملية تحتاج تجسيد وتقديم معطيات هذه الصورة بعد نقد تحليلي للنص المكتوب في الزمان والمكان، وفي أبعاده الثقافية وشخصياته وتفاصيله الدقيقة ورموزه وألوانه لإخراج ترجمة سليمة ومعبرة ودلالية، إنها تستدعي من المترجم أن يأخذ بعين الاعتبار أهمية القارئ الجمهور Target audience ما دام النص الأصلي يفرض مميزاته الخاصة ومعاييره الثقافية على المترجم، الذي يحدد مسبقا إستراتيجية لذلك. وفي هذا الصدد يكون مترجم أدب الأطفال حرّا نسبيا في عملية الترجمة الموجهة للأطفال، أولهما تنظيم النص الأصلي وما يحمله من صور ومحاولة تقريبية من فهم ومستوى الطفل بمراعاة العقدة the plot واللغة والشخصيات ومحاولة ملاءمتها مع قدرات الطفل لتمكينه من قراءة النص بالتوافق مع مبادئ وقيم المجتمع الذي ينتمي إليه.

يؤدي هذا الموقف في الترجمة إلى استقطاب نسبة معتبرة من المقروئية نظرا للتركيز على التأثيرات الأسلوبية في النص الهدف (المترجم)، وقد تزداد نسبة المقروئية readability في أدب الأطفال المترجم عندما يستثمر المترجم أثناء معالجته للنص الجانب التعليمي الذي يتوخى الهدف التربوي، محاولا تبسيط العناصر القصصية، ومن أجل ذلك، يتبنى المترجم خمسة عناصر إفهامية في نقله للصورة والمكتوب في النص المصدر Target text.

أن يكون النص المترجم مشحونا بعوامل الإثارة لجلب انتباه الطفل، لأن الأدب الموجه للكبار والمعبّر عن النقد والهجاء يمكن تغييره إلى حكاية خيالية بسيطة ما دام نموذج الهجاء لا يستوعبه الأطفال، إلى جانب توظيف أساليب التشويق بشكل جيّد. (الموقف الأدبي، ع400، 2004).

وضبط الخصائص الأسلوبية للنص بمراعاة الصورة، وجعلهما يراعيان درجة إدراك الأطفال لهما، كما يستطيع المترجم أيضا تدعيم ترجمته بالتركيز الإيقاعي على الصورة التي تعتمد على حواس الطفل الذي ينجذب إلى الألوان التي توضح المعنى وتقربه إليه، والإلحاح على الذوق الذي يشكل بدوره أداة من أدوات الصورة في تعرية النص الأدبي للدلالة على طعم معيّن مثل معنى "حلو" و"مر" و"عذب" و"حامض" و"مالح"، وتأتي لفظة حلو ومشتقاتها في طليعة الأذواق التي توحي بالشيء الجميل والممتع، كما لا يستطيع المترجم أن يتهاون بحاسة الشم التي تقرّب بدورها الصورة من ذهن المتلقي الصغير، وأغلبها الصور الشمسية للروائح الطبية، إلى جانب مراعاة عنصر الحجم الذي يفضله الطفل، خاصة الأحجام الصغيرة للأشياء والأشكال القريبة من عالم الصغار.

أما الحركة فقد يؤدي إغفالها من طرف المترجم إلى عدم توظيف أساليب إيقاعية حيّة قد تفقد الصورة الحيوية والجاذبية والتشويق التي ترتبط في الغالب بمواقف اللعب والنشاط لدى الأطفال، بالإضافة إلى عنصر الصوت الذي يتصل بحاسة السمع كصوت الحيوانات والطبيعة والآلات، الخ (الموقف الأدبي، ع441، 2008).

وفي خضم هذه العملية يطلب من المترجم أن يحافظ على الأمانة Faithfulness في النقل، واضعا في حسبانه الطفل القارئ وآخذا بعين الاعتبار اهتماماته وقدراته في القراءة بطريقة يكون فيها النص مألوفا لديه حتى ينسجم مع سياقه الاجتماعي ومعطياته الثقافية بواسطة عملية الملاءمة Adequacy التي تتقيد بالأمانة للنص الأصلي Klinberg 1986، لكن هذه العملية تكتنفها بعض المشاكل التي قد تصادف المترجم الذي عليه أن يحدّد مسبقا أنماط النصوص Texts types وأنواعها قبل القيام بعملية الترجمة، بحيث يجد نفسه يحافظ في النصوص التعبيرية expressive texts على التنظيم الفني لأسلوب النص الأصلي أثناء النقل، في حين لا ينبغي أن تتوقف وظيفة الترجمة على المطابقة بينها وبين النص الأصلي، وإنما يجب التركيز على التجاذب بين عناصر الصورة واللغة والثقافة فتصبح الترجمة عبارة عن مساءلة لهذه الصورة وعملية تحويل لسانية وثقافية، لأن الحدود الثقافية هي التي تشكل صياغة تركيب النص في صوره وعباراته، ولهذا لا يستطيع المترجم أن يقوم بالترجمة بطريقة تقليدية عمياء، وإنما عليه أن يقوم باستلهامها وإسقاطها على أشكال اللغة المستهدفة وهو بذلك يترك انطباعا مماثلا على القارئ الطفل للنص الأصلي (Reiss 1982)، ومن أمثلة ذلك ما نلاحظه على حكاية الجنيات والساحرات Fairy tales التي تشكل جزءًا لا يتجزأ من التقاليد الثقافية للنص الأصلي، والتي يرجى من المترجم مراعاة خصوصيتها، وإذا كان العكس، وكانت

القصة عبارة عن صور للتسلية بالنسبة للصغار، لا بد للمترجم أن يهتم بالأسلوب والصيغ التي يقدّمها في النص المترجم، كما عليه أن يساير العصر، لأن مدارك الطفل اليوم مع الثورة المعلوماتية والتقنيات الإعلامية والعلمية والألعاب الإلكترونية هي أوسع بكثير من مدارك طفل الأمس الذي كان يقتنع بقصص الغولة ومقيدش وليلى والخروف والذئب، الخ. (الموقف الأدبي، ع422، 2006).

ينبغي أن يكون هناك تفاعل داخلي inter play ينجم بين المترجم والطفل القارئ باستثمار تفكير الطفل ومدى تجاوبه مع عناصر الصور ومع الكلمات والألفاظ ذات الإيقاع والتكرار غير الممل واستخدام المحسنات البديعية من سجع وجناس وطباق وبناء الجمل القصيرة التصويرية والمعبرة التي تجعل النص المستهدف محببا لدى الأطفال تماشيا مع الفئة العمرية لهم بالتركيز في نفس الوقت على العامل البصري الذي تلعب فيه الصورة السند الرئيس في تزويد المترجم بالمعاني والدلالات التي يتجاوب ويتفاعل معها القارئ الطفل.

وأخيرا يمكن القول بأن الاختيار الأنسب والحصيف pertinent والهادف لإستراتيجية ترجمة الصورة في النص الأدبي الموجه للأطفال، إنما هو تعبير عن الاهتمام بالواقع والمستقبل معا، وهو دليل على الوعي الحضاري للمترجم وتفتحه الشخصي للآخر لتقوية الذات ومواجهة التحديات، لأنه بهذا الوعي والإحساس يكسب الترجمة بعدا متميزا وناجحا يزوّد الطفل الثقة فيما يقدم له من معان وقيم ودلالات وانسجام مع الألوان والأشكال والروائح والأذواق التي تجعله يندمج مع كل أطفال العالم في مختلف مواقعهم الجغرافية وانتماءاتهم الثقافية والحضارية، ويصبحون متضامنين ومجتمعين في تجربة طفولية واحدة لا حدود ولا فوارق بينهم.

المراجع بالعربية والأجنبية:

1. **أبو معال عبد الفتاح** ـ أدب الأطفال وأساليب تربيتهم وتعليمهم وتثقيفهم ـ دار الشروق للنشر والتوزيع ـ الأردن ـ ط1، 2005.

2. **مواسي فاروق** ـ اللغة في أدب الأطفال ـ مؤتمر الأطفال لفلسطينيي الداخل ـ مركز ثقافة الطفل ـ دياكونيا السويدية ـ 2006.

3. **الموقف الأدبي** ـ اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق ـ سوريا ـ الأعداد 400- 422، 2004- 441، 2006- 2008.

4. ***Klinberg. G.*** *Children's fiction in the hand of the translators, Malmo, CWK gleerup, 1986.*

5. Lathey Gillian, *the translation of children's literature, a reader Multi lingual maters LTD clevedon, Buffalo, Toronto, 2006.*

6. Lefevre A. *translation, Rewriting and the manipulation of literary frame London and New York , Routledge, 1992.*

7. ***Oittinen R.*** *translating for children New York, Garland, 2000.*

8. ***Venuti L.*** *the invisibility of the translator, a history of translation London and New York, Routledge, 1995.*